غزو روسيا

تفشل فيه ثلاث دول في ثلاثة عصور

— ٣ —

لادوار هرقص
من اعضاء المجمع العلمي

اغارة الالمان على روسيا

فرغنا من إيراد ما استحسنا ايراده من أخبار الغزوتين الهائلتين في القرنين السابقين على روسيا وكيف أخفقتا كل الاخفاق وردّ كيد الغازين المقتحمين في نحورهم . وحان لنا الآن أن نشير الى الغزوة الثالثة الحاضرة التي لا يزال العالم يرى آثارها ويسمع أخبارها . وقد انقضى عليها حتى كتابة هذه السطور — أواخر ايلول (سبتمبر) ١٩٤٣ — سنتان وثلاثة أشهر وكان الزعيم الالماني الطاغية هتلر قد أعلن مطبلاً مزمراً ان ثلاثة أشهر كافية وحدها لهُ ولجيوشه الضخمة ومعهم جيوش ست دول تحالفهم لسحق روسيا واستعبادها كما سحق واستعبد غيرها من الشعوب والامم في أقل من سنة . فاذا الروس غير من عهدهم من الشعوب واذا مكايدهم الحربية واستعدادهم العسكري فوق ما قدّره وتصوره . ومع انهُ نال منهم ومن بلادهم منالاً عظيماً في السنة الاول من الكفاح الى أواسط السنة الثانية أفهموه لاول وهلة بقوةٍ وأفهموا الخبراء العسكريين المحايدين الذين يراقبون احواله وأحوالهم ان ما كان يدّعيه لنفسه ويدّعيه له الناس من ان جيوشه لا تقاوم ولا تغلب إنما هو حديث خرافة ، وأن ما اصطلح على تسميته بالحرب الصاعقة أو الحرب الخاطفة لسرعة انتصاراته فيها بفضل تفوقه على عدوه أضعافاً مضاعفة في العدد والعتاد انما هو ظلٌّ زائلٌ انطوى بانطوائه واضمحلت ضمانته فلا مندوحة له عن الصبر والمصابرة في مكافحة الروس وخسران الشيء الكثير من الوقت الذي يفيدهم ويتهددهُ . فبئس منذ الالتحامات الاولى من تلك الحرب الصاعقة التي أصلى نار جحيمها كل من اقتحمهم من بولونيين وفرانسيين وبلجيكيين وهولانديين وبروجيين وغيرهم . وهكذا تمكن الروس بتلك المطاولة التي أكرهوه عليها من أن يتمموا استعداداتهم ويبدوا شعثهم ويسدوا كل ثلمة لحموها في [illegible] استردوا [illegible] سنة ١٩٤٣ [illegible] كان شوكة

من بلادهم أو ما يفوق الثلثين وهم جادون في استرجاع البقية ولا شيء يعادل توفيقهم وقوة عزيمتهم إلاّ تضعضع العدو وانهيار عزيمته وانقضاض حلفائه عنه واحداً بعد الآخر. ومن المنتظر أن يصرّ بالحرب الى بلاد العدو ويحاربه في عقر داره ويحاسبوا الألمان حساباً دقيقاً على الفظائع والجرائم التي ارتكبوها في روسيا العظيمة المقدسة. وهذا المصير العادل قد يحين حينه في اوائل الشتاء القادم وان تأخر فالى أواخر الشتاء حسب تقدير أولي الخبرة من رجال الحرب. ولا بدّ أن يشارك الروس في المرحلة النهائية المقادمة جميع حلفائهم من انكليز واميركيين وفرنسيين وبولونيين وغيرهم. وهكذا تكون روسيا هي العامل الاكبر في سقوط المانيا الهتلرية والقضاء على مطامعها وانقاذ البشر من شرورها كما كانت العامل الاكبر في اخفاق المغازي العظيم كارلوس الثاني عشر الاسوجي وإذلاله ثم في قهر شاغل الدنيا وراعبها بفتوحاته نابليون الاول. وعن قريب سننضم اليهما روح هتلر حاملة لهما التحيات والذكريات الفاجعة والعبر الرادعة فيتبادلون أحاديث خالدة في عالم البقاء

وأما الحقائق التي يقينها العاقل المنصف من الحملة الالمانية النازية الحاضرة في روسيا فهي هذه :

أولاً — ان الجيش الروسي أضاف الى بسالته التاريخية نظاماً عسكرياً بديعاً وتدابير حربية عجيبة. ولم يكن له شيء من ذلك في عهده السابق

ثانياً — ان وطنية صحيحة لا تتزعزع راسخة في أعماق نفوس الروس حتى انهم في طرفة عين نسوا اضغانهم وانقساماتهم السياسية والدينية اذ رأوا خطر الغزو يتهددهم فتصالحوا ظاهراً وباطناً وقابلوا يداً واحدة على العدو المعتدي وفعلت نساؤهم وأحداثهم في مقاومته والنكاية به ما يكاد يعجز عنه فحول الرجال

ثالثاً — ان لروسيا بفضل علمائها المبرزين نصيباً ممتازاً من العلم والفن والاختراعات الحربية الجمة، دلت عليه أحوالهم في الحرب الحاضرة وآخر ما سمعنا به من اختراعاتهم المدافع الضخمة المتحركة الجديدة التي لها مزايا تفوق مزايا المدافع الاعتيادية في مقاومة الدبابات وفضّ شوكتها

رابعاً — ان النظام الاشتراكي المتولي اليوم زمام الاحكام في روسيا ويعرف بالنظام السوفياتي أو البولشفي والذي أنال الروس التقدم العظيم الآنف وصفه، ليس فيه الشذوذ الذي سمعنا به عنه ولا هو على القطاعة التي كانت تنسب اليه عمداً أو جهلاً أو مجاراةً لمرامٍ سياسية مقصودة. وهيه ألمّ بطرف مما أشيع عنه وذلك اضطراراً في أوائل نشأته لاحلّ ترسيخ أقدامه فلا شك انه اعتدل بعد ذلك أي اعتدال وصالح الكنيسة ورجال الدين وخفف غلوه في بعض أمره حين رأى مع عدد غير القليل من تابعيه وهم

رعاياه لا يقلون اخلاصاً للوطن الروسي واندفاعاً في سبيل تعزيزه وتوقيته عن سائر اخوانهم الروس الذين اتخذوا المبدأ البولشفي

خامساً : ان أعظم الأدلة وأوضحها على اعتدال البولشفيك ان زعيمهم العظيم ومارشالهم المظفر ستالين أصدر أمره في أثناء الحرب الحاضرة بالغاء المجلس التولشفي الدولي الأعلى في بلاده . وهو المجلس العظيم النفوذ الذي كان يشرف على نشر المبدإ البولشفي خارج روسيا ويدعم دعاته هناك بمساعدات مادية ومعنوية لا تكاد تنفد . فلما ألغى ستالين هذا المجلس ازال من صدور الناس ولا سيما صدور حلفائه من فرنسيين وانكليز وأميركيين وغيرهم آخر حزازة بقيت في صدورهم منهُ وآخر تهمة كانوا يوجهونها اليه ولو سرًّا . فتصافت القلوب والنيات . وقد قال احد مفكري الديمقراطية اولئك : « ان المبدأ البولشفي بعد اعتداله والمبدأ الديمقراطي يكادان يلتقيان في صعيد واحد » . قلنا والظاهر ان هذا التقارب الذي بين المبدأين كان أعظم سبب حوّل ستالين الغاء المجلس البولشفي والدولي فخفف عن كاهل دولته أوزاراً من المتاعب والمصاعب وعن خزينتها قناطير من المال في كل سنة

ومما يثلج الصدور ويدعو الى الامان والاطمئنان ويفتح امام البشرية باب الآمال المذهبة على مصراعيه ان روسيا — كما صرّح غير مرة دهاقنة السياسة الانكليز والاميركيين — ستكون بعد ما تنتهي الحرب الحاضرة عضواً فعالاً عظيم الاثر في انشاء نظم سياسية واجتماعية واقتصادية — جديدة للعالم تكون خيراً من نظمه الحاضرة وأقوى منها على اتقاء الكوارث والويلات والمعضلات وأكفل لها لاغتنام الخيرات والبركات في ظل أحسن عالم وطيد الاركان. وفي مقدمة الوسائل المتخذة لهذا المشروع الانساني الأعظم ميثاق الاتلانتيك . ومداره تساوي الحقوق بين الامم كبيرها وصغيرها، قويها وضعيفها . فلكل امة كرامتها واستقلالها ومسعفات لها على رغد الحياة وصفاء العيش بتسهيل المواصلات بين اجزاء المعمور وازالة الشيء الكثير من الحواجز والعوائق الحالية وفي جملتها المكوس اي الرسوم الجركية وإجراءات السفر والانتقال. وبديهي ان نجاح هذه المساعي العالمية يكون متعذراً اومتعسراً مشكوكاً فيه جدًّا اذا ظلت روسيا على تقاليدها القديمة في الابتعاد عن سبيلها منفصلة الانفراد والانفصال واتباع نظم معينة تختص بها أو اذا ظلت الدول تسعى الى ابعاد روسيا عن هذا السبيل حذراً منها او تعاملاً عليها. وروسيا جزء عظيم من العالم ولا سيما في نهضتها الحاضرة . فكل اصلاح يراد للعالم وليس لروسيا بدّ فيه ولا رضى به يظل اصلاحاً أشل أعرج معتلاً لا تكتب له حياة طويلة أمدًا وقد صرحت اليوم الدولة الروسية بصدق نيتها في مشاركة حلفائها المساعي العمرانية والسياسية ورحب الحلفاء سلفاً بهذه المشاركة فقد ذللت عقبة كؤود في سبيل الخير العام الذي ينوخونهُ وتنتظره البشرية منهم .